القاتل

لا نفرق فى المصريين بين دم ودم، فكلهم شهداؤنا، وسواء كانوا من الإخوان أو من الثوريين، كلهم شباب فى عمر الورد قصفت أعمارهم مبكرًا، وراحوا ضحية قاتل أصلى واحد وحيد، صارت مصر كلها تعرف اسمه، وتعرف يده الملطخة بالدم الحرام، ولن يفلت من عقاب الناس، ولا من عقاب الله الذى يمهل ولا يهمل.

ولا أظنك ــ عزيزى القارئ ــ تسألنى عن الاسم، فأنت تعرفه كما أعرفه، إنه محمد مرسى المغتصب الآن لصفة رئيس الجمهورية، محمد مرسى الذى ينتحل صفة المسلم التقى، وهو لا يتورع عن سفك الدم فى الشهر الحرام، وتحويل البلد كلها إلى أطلال، وقتل المصريين جميعا، ولا لشيء إلا ليبقى مرسى على الكرسى، وبلا أدنى شرعية، فقد زالت عنه صفته كرئيس منتخب، وتحول إلى ديكتاتور و«قراقوش»، يصدر إعلانات عبثية استبدادية، وينقلب على أبسط معانى الشرعية، ويحكم كرئيس عصابة لا كرئيس لبلد عظيم فى حجم مصر، ثم يحس بضآلة حجمه، وصغار شأنه، وتمرد مصر الحية على سلطانه المغصوب، فيفقد أعصابه، ويستدعى أهله وعشيرته لنصرته، فيأتون كجيوش التتار، ويهجمون كعصابات الظلام، يضربون ويكسرون ويقتلون، ويسيلون الدماء فى كل مكان، وبغير تمييز بين رجل وامرأة، ولا بين صحفى ومتظاهر، ولا بين عابر ومعارض، ويقيمون غرف السحل والتعذيب على باب قصره، وينزعون من نفوسهم أى معنى للآدمية، ويتحولون إلى وحوش كاسرة، يريدون إرهاب الناس، وإجبارهم على ابتلاع مرسى، لكن الناس لا ترتعب ولا تبتلع، وتصمد فى وجه القتلة المحترفين، وتذيقهم كأس الهزيمة، وتنبذهم نبذ النواة، فيصرخون ويولولون، ويدعون أن القتلى جميعا من عشيرة مرسى، بينما الشهداء بالعشرات،

والمصابون بالآلاف، وبينهم الشهيد محمد السنوسى الذى ساوم الإخوان أهله بإغراءات مالية مقابل ادعاء نسبته للإخوان، وبينهم مناضلون من طراز رفيع كأحمد دومة والحبيب الكفائى الصحفى الشاب الحسينى أبوضيف، وقلة قليلة بينهم من شباب الإخوان، والذين راحوا ضحايا لبرامج غسيل الأدمغة، ولأوامر العصابة التى تتحكم فى قيادة الإخوان، وهى ذات العصابة التى انتدبت مرسى لقصر الرئاسة، وتعاملت مع مصر كغنيمة وعزبة خاصة، وراحت تكرر جرائم عصابة المخلوع مبارك، وتحول جهاز الإخوان إلى ما يشبه جهاز أمن الدولة، وتحول شباب الإخوان إلى عساكر أمن مركزى، وتحول قيادات الإخوان الوسطى إلى ضباط تعذيب، وفى مشاهد دموية بشعة مسجلة بالصوت والصورة، تفضح وحشية القتلة، والذين يدعون انتسابا للإسلام، بينما الإسلام برىء منهم ومما يفعلون، وإلى يوم يبعثون.

نعم، لم يعد الصمت ممكنا، ولا المواربة ولا الإخفاء، ولا قول الكلمات الباهتة فى مواسم الدم، فدماء الشهداء جميعا، وبمن فيهم من قتل بين شباب الإخوان، دماء هؤلاء جميعا فى رقبة مكتب إرشاد الإخوان، وفى رقبة خيرت الشاطر الرجل القوى فى قيادة الإخوان، وفى رقبة محمد مرسى دوبلير الشاطر وتابعه المطيع، ولا قيمة هنا لما يسمى تحقيقات النيابة، والتى يجريها نائب عام اصطفاه الإخوان، ورغم ذلك أفرجت عن كل الذين اتهمهم مرسى علنًا فى خطابه الكذوب، ولا قيمة لتحريات أجهزة الأمن المجبرة على موالاة الإخوان وموالاة مرسى، والتى وقفت عاجزة عن إنهاء المذابح ومنع الحرائق، ثم يحدثك مرسى فى خطابه الفارغ من المعنى عن «المندسين»، وهى صيغة جديدة لما كان المجلس العسكرى يطلق عليه صفة «الطرف الثالث» و«اللهو الخفى»، والتى حالت دون أى تحقيق جدى فى مقتل مئات الشهداء أيام حكم مجلس طنطاوى وعنان، بينما القتلة معروفون بالاسم والرسم، وما من طرف ثالث ولا يحزنون، والمسؤولية عن الجرائم معلقة فى رقاب جماعة طنطاوى وعنان، وتماما كما كانت

المسؤولية معلقة فى رقبة المخلوع عن شهداء الموجة الأولى للثورة فى ٢٥ يناير ٢٠١١، والتى صدر فيها بحقه حكم قضائى بالسجن المؤبد، وبسبب تركه لأنهار الدم تجرى، ودون أن يصدر أمرًا بوقف القتل، بينما جرى إعفاء حماعة طنطاوى وعنان من العقاب الرمزى الذى طال مبارك، وبسبب تواطؤ وتحصين قيادة الإخوان لرجال المجلس العسكرى السابق، وتضامنهم معه فى وصف شهداء الموجة الثانية للثورة بالبلطجة، وهو نفس ما يفعله الإخوان الآن فى وصف شهداء الموجة الثالثة للثورة، فقد تعودوا على الكذب وأدمنوه، وعلى خداع الآلاف من شباب الإخوان طيبى القلب، والذين تدفعهم قيادتهم إلى ارتكاب الجرائم، وعلى ظن أنهم سيفلتون من العقاب، وهو ما لن يحدث أبدًا، فمسؤولية مرسى وجماعته عن المذابح هى مسؤولية مبارك ذاتها، وهو ما يفسر تشابه خطاب مرسى بعد المذبحة مع خطاب المخلوع الأول وقت الثورة الأولى، وإلى حد التطابق المثير للانتباه، وبنفس اللغة الأمنية البائسة، وبذات الطريقة فى تزوير وقلب الحقائق، فقد كانت مظاهرات الزحف العظيم - فى الثلاثاء ٤ ديسمبر ٢٠١٢ - سلمية تماما، وكانت واحدة من أروع مشاهد الثورة المصرية الجارية، ولم تسل ليلتها قطرة دم واحدة، وبدا التفوق الأخلاقى فيها ساطعا وعلى أفضل صورة، وبدت عبقرية الشعب المصرى مفاجئة فى عطائها المتدفق كنهر النيل، بينما حاول مرسى المرعوب تشويه الصورة المتألقة، وادعى أن عدوانا وقع على إحدى سيارات الرئاسة، وهو ما لم يقع أصلا ولا وقع له شبيه، فالمشهد كله كان منقولًا على الهواء بالصوت والصورة، بينما هرب مرسى ليلتها من باب جانبى لقصر الرئاسة، وراح يدبر مع سادته فى مكتب الإرشاد طريقة للرد على الزحف الشعبى السلمى، وجاء الرد بعد ساعات عصر اليوم التالى، وأرسلوا ميليشيات الإخوان المحمولة برا، وبدأ الضرب والتحطيم والقتل، أى أن ساعة الدم كانت مضبوطة على توقيت وصول ميليشيات الإخوان، وهو ما يعلم به مرسى يقينا، وبصفته عضوا لايزال فى جماعة الإخوان، وهنا مربط الفرس، والقرينة الكبرى

التى تغنى عن زحام التفاصيل التى جرت بعدها، فالمسؤولية عن الدماء التى سالت ظاهرة تخترق العين، وطوال ليلة القتل لم تصدر كلمة عن مرسى، ولا صدر أمر واحد لأى جهة بإيقاف المذبحة، وهو ما يجعل من مرسى متهما أول فى الجريمة كلها، وهو المسؤول الأول عن جرائم الترك والتحريض والتدبير، والمطلوب: أن يخضع مرسى للتحقيق والمحاكمة، وقبل أن يخضع سادته فى مكتب إرشاد الإخوان للتحقيق والمحاكمة ذاتها، فقد زالت شرعية مرسى كرئيس منتخب لحظة إصداره للإعلان الديكتاتورى، ثم فى تناقضات قراراته اللاحقة الصادرة بحسب أوامر مكتب الإرشاد، فقد مد عمل جمعية الدستور فى الإعلان لشهرين، ثم أنهى عمل جمعية الدستور فى يومين، وبدا كأنه يقايض الناس على أمرين كلاهما شر مطلق، فإما الخضوع لإعلانه الديكتاتورى، أو الموافقة فى استفتاء مزور على دستور مزور، وحين فوجئ بالزحف الشعبى الهائل إلى محيط قصر الرئاسة، تصور أن عميلة قرصنة - على طريقة موقعة الجمل - قد تنقذ كرسيه المهزوز، ونفذ المذبحة التى انتهت إلى هزيمة سياسية وأخلاقية كبرى للإخوان ولمرسيهم، وسالت فيها دماء غزيرة بريئة حتى من شباب الإخوان، وهو ما يتحول بوضع مرسى من رئيس فاقد للشرعية إلى متهم بالقتل، ولن ينفع مرسى عناده ولا كبره، ولا ميليشياته، تماما كما لم ينفع المخلوع عناده وجبروت أجهزة أمنه، فقد تحول الرجل إلى رئيس لعصابة بالمعنى الحرفى، تحول إلى رجل هارب من شرطة التاريخ، وقد دقت الساعة واقتربت النهاية، وجاء أوان القبض على القاتل الحقيقى، وبقرار الشعب صاحب الثورة وصانع التاريخ. وتستطيع قيادة الإخوان أن ترتكب ما شاءت من مذابح، وأن تعتقلنا أو تغتالنا، لكن رئيسها مرسى لن يفلت من عقاب الناس، ولا من عقاب الله الذى لا يفلت المجرمين.

"صوت الأمة" فى ١٠ من ديسمبر ٢٠١٢